

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً-

Revolution in the Algerian literature -for the poet Mohamed Chebouki.

الدكتور: سمير جريدي أستاذ محاضر أ.¹

¹ قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية،
جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج- الجزائر.

البريد الإلكتروني: Samir.djeridi@univ-bba.dz

البريد الإلكتروني: Samir.djeridi25@gmail.com

معلومات المقال	المخلص :
تاريخ الارسال: 2024 /06 /04 تاريخ القبول: 2024/06/13	يتناول المقال الثورة الجزائرية في شعر محمد الشبوكي؛ إذ عرّف تعريفًا موجزًا بالشاعر عبر مختلف محطات حياته التعليمية والنضالية والسياسية، ثم حاول التأصيل المعرفي لمفهوم الثورة لغة واصطلاحًا، ثم أبرز تجليات الثورة في شعره من خلال الحديث عن عدة قضايا متعلقة بها مثل: الحكومة الجزائرية المؤقتة، و جيش التحرير الوطني، والشهداء والمجاهدين، وتخليد المعارك والأحداث انطلاقًا من الأناشيد الحماسية، وإبراز جرائم الاستعمار والتشهير بها، واتخاذ أحداث الثورة مناسبة للحديث عنها بعد الاستقلال وتخليد مآثرها، وإبقائها حية لدى معاصريها ولدى الأجيال المعاصرة واللاحقة، ويُختم المقال بخاتمة تجمل أهم النتائج المحورية المتوصل إليها.
الكلمات المفتاحية:	Article info
الأدب الجزائري؛ الثورة؛ الشعر؛ محمد الشبوكي.	<i>Abstract :</i>
	<i>the intervention deals with the Algerian revolution in the poetry of Mohamed Chebouki, which described the poet briefly talking about his different stages of his academic, political fight against colonization then we moved to the explanation of revolution concept where we showed the aspects of revolution in his poems via the discussion of different issues related to his poetry like the Algerian temporary government, the national liberation army, the revolutionists and martyrs of the independence war, memorizing the battles and war events starting from enthusiastic songs showing colonizer's crimes and libeling them. The poems also took the events of war as an opportunity to talk about them after war keeping them alive for the coming and current generations. The intervention ends with a conclusion containing the results obtained from the research.</i>
	<i>Received</i> <i>Accepted</i> <i>Keyword:</i> <i>the Algerian literature, revolution, poetry, Mohamed Chebouki.</i>

تُعد الثورة الجزائرية المباركة (1954م- 1962م) ثورة عظيمة بما حققتها من الانتصار على أقوى الدول الاستعمارية آنذاك، وهي فرنسا مدعومة بقوات الحلف الأطلسي الغربي، وقد دأع صيتها في مختلف أنحاء العالم عمومًا، والعالم العربي خصوصًا، ويكفي أن نذكر في هذا الشأن كتاب الدكتور عثمان سعدي الموسم بـ "الثورة في الشعر العراقي"، وغيرها من المؤلفات التي تناولت الثورة الجزائرية ووثقتها في أعمالها.

وأما على المستوى المحلي الجزائري فقد كتب عنها: المؤرخون، والشعراء الذين نذكر منهم: شاعر الثورة مغدي زكريا، الذي خلّدها بديوانه الشعري الثوري "اللهب المقدس"، وصالح خرفي صاحب ديوان "أطلس المعجزات"، ومحمد الشبوكي في ديوانه "ديوان الشيخ الشبوكي"، وهو الذي اخترناه للدراسة، وفق العنوان الآتي: "الثورة في الأدب الجزائري - شعر محمد الشبوكي أنموذجاً -".

وتعود أسباب اختيارنا هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية تتمثل في الرغبة الملحة من قبلنا في دراسة الأدب الجزائري عمومًا، وأدب الثورة خصوصًا، والذي يُعدّ محمد الشبوكي أحد أعلامه البارزين.

وأما الأسباب الموضوعية فتتمثل في أنّ محمد الشبوكي لم يحظ - عمومًا - بالدراسة الكافية لشعره لأسباب عديدة، كما أننا - في حدود علمنا واطلاعنا - لا نعلم بوجود دراسة تناولت شعر الثورة عنده بالقدر الكافي، أو على الأقل بمثل ما نريد نحن دراسته وفقها، ففعل هذا الجهد المتواضع أن يسهم في الكشف عن سمات الثورة في شعر محمد الشبوكي وتجلياتها من جهة، والتعريف أكثر بهذا الشاعر الثوري الوطني الزاهد من جهة أخرى.

وأما الإشكالية التي يتمحور حولها المقال فتتمثل في التساؤلات الآتية: من هو محمد الشبوكي؟ ما مفهوم الثورة؟ وكيف عالج الثورة وقضاياها في ديوانه الشعري؟ وقد وضعنا الخطة الآتية - لأجل الإجابة على الإشكالية - وهي:

- 1- التعريف بالشاعر وشعره في مختلف النواحي.
 - 2- مفهوم الثورة: لغة واصطلاحًا.
 - 3- تجليات الثورة في شعر محمد الشبوكي؛ إذ تحدثنا عن الزوايا التي نظر منها محمد الشبوكي إلى الثورة والقضايا المتعلقة بها، والتي وردت في شعره، وهذا ما سيظهر في حينه ومكانه لاحقًا.
 - 4- الخاتمة: وفيها أجمالنا النتائج المحورية التي توصلنا إليها.
 - 5- قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة المداخلة.
- أولاً: التعريف بمحمد الشبوكي: ¹

1. مولده:

محمد الشبوكي شخصية جزائرية متعددة الجوانب فقد كان: مجاهدًا، وشاعرا، وناثرا مُقلًا، ومعلمًا، ومربيًا، وواعظًا مصلحًا مرشدًا، وسياسيًا.

وهو العصاراة المركزة للحركة الوطنية الجزائرية - قبل الاستقلال- بشقيها: السياسي ومثلاً في حزب الشعب الجزائري، والإصلاحي مثلاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ولد سنة 1916م بمنطقة تليجان دائرة الشريعة، ولاية تبسة، وهي مدينة تقع أقصى الشرق الجزائري، وهو ينحدر من قبيلة النمامشة.

2. تعلمه:

تتلمذ أول الأمر على يد والده فحفظ جزءا من القرآن الكريم، ثم أكمل حفظه على يد الشيخ الشريف جباري، إلى جانب عدد من المتون العلمية، ومجموعة من أشعار العرب القديمة للبحثري وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي.

انتقل سنة 1932م إلى معهد نفطة بالجنوب التونسي لتلقي المبادئ العلمية عن بعض الشيوخ، ثم عاد إلى تبسة، وفي عام 1934م التحق بجامعة الزيتونة بالعاصمة التونسية لمواصلة الدراسة إلى أن أحرز شهادة "التحصيل" سنة 1942م.

3. نشاطاته:

عاد إلى أرض الوطن بعد ذلك، وقد جمع بين النشاط السياسي حزبيا، والنشاط الإصلاحي المؤطر جمعويا: فقد كان عضوا عاملا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومعلما بمدارسها وتحت إشرافها؛ فقد عمل في مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة خلال سنوات 1947م و1953م، ومشرفا على مدرسة الحياة الابتدائية ببلدية الشريعة سنة 1954م.

كما شارك في دروس الوعظ والإرشاد التي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنظمها خلال شهر رمضان.

كان عضوا سياسيا في حزب الشعب بمنطقة الشرق الجزائري، وشارك في جمع السلاح ما بين 1948م و1956م.

وفي شهر فيفري 1956م أُلقي عليه القبض، وظل يتنقل في المعتقلات مدة ستة أعوام إلى أن أفرج عليه في 13 مارس 1962م.

وبعد خروجه من المعتقل عاد إلى مهنة التعليم أستاذا ثانويا، وواصل النضال السياسي في صفوف حزب جبهة التحرير الوطني، وشارك في المجلس الإسلامي الأعلى عضوا، وكان رئيسا لبلدية الشريعة، وعضوا في المجلس الولائي لتبسة، ثم رئيسا له.

انتخب نائبا بالمجلس الشعبي الوطني خلال فترته الثالثة، ولما عادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى النشاط انضم إليها مجددا.

4. وفاته:

توفي رحمه الله في 13 جوان 2005م، ودفن بمدينة الشريعة بحضور شعبي و رسمي كبير.

5. آثاره:

ترك محمد الشبوكي ديوانين شعريين: الأول موسوم بـ: ديوان الشيخ الشبوكي صدر سنة 1995م عن المتحف الوطني للمجاهد، والثاني موسوم بـ: ذوب القلب، وقد صدر سنة 2007م بمناسبة تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية.

كما ترك بعض المقالات النثرية القليلة التي نشرها في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سلسلتها الثانية.

ثانياً: التأصيل المعرفي للثورة:

قبل الحديث عن الثورة وتجلياتها في شعر محمد الشبوكي ارتأينا البدء بتعريف مفهوم الثورة لغة واصطلاحاً. لوضع القارئ في صورتها ومفهومها.

1. لغة:

الثورة هي: " 1- مصدر ثار. 2- قيام وانتفاضة على الحاكم لإطاحته. 3- ضجة. 4 - هيجان. 5 - كثرة"². والملاحظ أن المعاني التي أخذتها كلمة الثورة -شأنها شأن الكلمات الأخرى في المعاجم اللغوية أو العامة - متعددة، غير أن المعنى الذي نأخذه نحن من سياق بحثنا هو المعنى الثاني الذي هو القيام والانتفاضة ضد الحاكم لإطاحته. والحاكم في تلك الفترة بالنسبة للجزائريين هو الاستعمار الفرنسي البغيض الذي تداعا الجزائريون على اختلاف توجهاتهم لإسقاطه وطرده من الجزائر.

2. اصطلاحاً:

التعريف الاصطلاحي - لقضية ما- يكون أكثر دقة وتوسعاً وشمولاً وخصوصيته في مجال معين، وذلك لأنه لا يأخذ كل التعاريف اللغوية، المتعددة ويوردها، وإن كان بعض معانيها متضمناً في التعريف الاصطلاحي.

والثورة كغيرها من القضايا، حظيت بعدد التعريفات الاصطلاحية؛ فهي أحياناً تعني: "عدم الرضا لوضع ما والتعبير بالرفض والهيجان والقيام برد فعل قسوي وعنيف"³، هذا بشكل عام ومجمل، وهي كلمة مستخدمة في عدة مجالات فـ" في المجال السياسي يستخدم مصطلح الثورة للتعبير عن تحرك عنيف يقوم به شعب ما ضد سلطة حاكمة لا تمثل ذلك الشعب، ولا تلبّي رغباته، وذلك قصد الإطاحة بها وبنظامها، واستبدالها بسلطة جديدة ونظام جديد"⁴.

ومن التعريفات الاصطلاحية الأخرى للثورة في القواميس المتخصصة-لإثراء البحث- أنها: "تغيير جوهري في الأوضاع السياسية، والاجتماعية والأدبية، إلا أن المصطلح شاع في قلب نظام الحكم على أن يكون الثائرون أفراد الشعب كله، وشاعت الثورة الاجتماعية في تغيير نُظم الحياة نحو الأفضل، فالثورة الفرنسية سياسية واجتماعية...أما الثورة الأدبية فهي الجموح الذي يندفع له الشباب في تجديد مظاهر الأدب، والإغارة على كلّ قديم وتقليدي، من غير تحديد لنوع الاتجاه الجديد"⁵.

وعموماً فإن الثورة هي الوقوف ضد السائد: نظاماً، عادات، تقاليد، واستعمال مختلف الوسائل لإزالة ذلك السائد، ولعل إزالة النظم الاستدمارية يتطلب القوة والعنف بشكل رئيسي، لتتغير بعد ذلك مختلف مناحي الحياة المرتبطة بنظام الحكم.

كما يمكننا أن نضيف تعريفات أخرى بالاعتماد على طريقة أخرى - غير البحث في المعجم والمؤلفات-، وهي رصد المعاني المستخدمة على لسان مختلف الباحثين والدارسين والصحافيين وغيرهم، وإن لم تستخدم تلك التعريفات في مؤلفات.

ومن معاني الثورة جاعتماد ذلك- نذكر ما يأتي:

1-إحداث تغييرات عميقة وشاملة على ما هو سائد ومستتب وواقع، فنقول مثلاً: أحدث ثورة ثقافية واقتصادية واجتماعية وفكرية، ونذكر فهذا المجال الثورة الرقمية في مجال التأليف، والثورة الإعلامية...

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً:- الدكتور سمير جريدي

والذي نراه في هذا المفهوم - ومن خلال الأمثلة السابقة - أن هذه التغييرات تعتمد التكنولوجيا والفكر والعمل...، دون استخدام العنف والسلاح.

2- الوقوف في وجه جهة ما (نظاماً سياسياً، استعماراً أجنبياً...)، وذلك عن طريق استخدام الثورة والسلاح لإحداث التغيير أو إزالة تلك الجهة، ونذكر في هذا الشأن: ثورة البلاشفة ضد نظام القيصر في روسيا، والثورة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي،... والثورة الجزائرية المباركة ضد الاحتلال الفرنسي ما بين (1954م-1962م)، وإن لم تكف باستخدام القوة والعنف فقط، بل جمعت بين السياسة، والإعلام، والأدب (الشعر والنثر)، والتي سنركز عليها وعلى صورتها لدى شاعر الثورة الجزائرية الزاهد محمد الشبوكي، وكيفية حديثه عنها ومساهمته فيها.

ثالثاً- تجليات الثورة الجزائرية في الشعر محمد الشبوكي:

والعائد إلى شعر محمد الشبوكي من خلال ديوانه " ديوان الشيخ الشبوكي " يلحظ أنّ له تجارب شعرية⁶، سواء أكانت قصائد عادية أم أناشيد، تخلد الثورة وأحداثها؛ من معارك كبيرة، ونضالات سياسية، ونشاطات حكومية داخل الجزائر أو خارجها، وقد خلدها عند ما كان خارج السجن، وعندما دخله، قبل الاستقلال وبعده.

وقد شغل الحديث عن الثورة بمختلف تجلياتها وتمظهراتها، حيزاً لا بأس به عند محمد الشبوكي؛ إذ نجد ذلك في أغلب الأغراض التي شملها ديوانه-إذا ما استثنينا قصائد: " الذاتيات"، و"الإخوانيات" وبعض قصائد " المنوعات"، وهي قصائد قليلة جداً لا تتجاوز الربع أو أقل من مجموع قصائد ديوانه، مما يؤكد التزام محمد الشبوكي بالقضايا الوطنية العامة وخصوصاً الثورة التحريرية المباركة، كيف لا وهو أحد أعضائها الفاعلين، وهو " أحد أكبر المثقفين الوطنيين"⁷.

والواقع أنه إذا أردنا استطراداً -ولو قليلاً- فيما يخص الالتزام بالقضايا العامة أو الجمعية وإغفال القضايا الذاتية إلا قليلاً، فإنه أمر شائع لدى شعراء الحركة الوطنية، فمثلاً شعراء البصائر الجزائرية في سلسلتها الأولى والثانية، ومنهم محمد الشبوكي، ومحمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون ممن يؤثرون القضايا الجمعية على القضايا الذاتية الفردية لأسباب عديدة⁸.

وأما الحديث عن تجليات الثورة الجزائرية في شعره، فيمكن إجمالها في القضايا الآتية:

1- الحديث عن أنظمة الثورة السياسية والعسكرية ومكوناتها (الحكومة المؤقتة، جبهة

التحرير الوطني، جيش التحرير الوطني، الشهداء الشباب -

العنصر - ر الفع - ال فيها-

:(...)

1.1 تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958م:

كان الشاعر سنة 1958م في معتقل الضاية (بوسوي) في ضواحي بلعباس، ولما سمع -هناك- بتأسيس الحكومة المؤقتة انفعلاً انفعالا شديداً و فرحاً عظيماً، فنظم قصيدته "دولة الشعب"⁹، التي بدأها بمقدمة أبرز فيها ذلك الفرح بقوله:

فرح القلب بعد طول اكتئاب وحَدَانِي الهوى وعَادَ شَبَابِي.

فترشفت من كؤوس الأمانى جُرعا ما ألذّها من شرابي.

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً:- الدكتور سمير جريدي

وازدهاني شعر البلاد فغنّيْ _____ ت وعانقت مْهري وربابي.

فدعوني لنشوتي يا رفاقي _____ واعذروني في صبوتي يا
ص _____ حابي.

ثم ينتقل بعد ذلك وراء عدّة أبيات إلى المقطوعة ما قبل الأخيرة، ليتحدث مباشرة عن الحكومة المؤقتة مصرحاً:

دولة الشعر يا بشائر فجر _____ قُدسيّ بدا وراء السحاب

فارفعي الراية الحبيبة في القطر _____ فإننا لنجمها في ارتقاب

إيه يا راية يُقدّسها الشّع _____ بْ، ويهفو إلى رؤاها العذاب

رفرفي في السماء يكلّوك الل _____ هُ، وتقديك روح هذا الشباب

ما ألدّ الحياة في ظلّك الرقا _____ ف، يا معقد الرجا والرّغاب

والحقيقة أن محمداً الشبوكي كان مهتماً بقضايا الثورة حتى وهو في سجنه، معبراً عن فرحه بالمناسبة، ذاكراً الآمال المعلقة على تلك الحكومة، متخذاً منها مناسبة للحديث عن بطولات الشعب الجزائري وصموده، أمام جرائم الاستعمار الفرنسي البغيض.

2.1 جبهة التحرير الوطني:

للثورة الجزائرية مؤسسات نظامية، ومنها جبهة التحرير الوطني التي أعلنت عن تفجير الثورة المسلحة، وهي التي تقود الكفاح السياسي الى جانب الكفاح العسكري الذي يقوده جيش التحرير الوطني، وهي الممثل الوحيد للشعب الجزائري ومطالبه أمام المحافل والهيئات الدولية، وقد ذكرها محمد الشبوكي في قصيدة " خبروا الدنيا"¹⁰، ومما جاء فيها في أبيات عديدة عن جبهة التحرير الوطني، قوله:

(جبهه التحرير) ناددت شعبنا _____ أين من يفدي بنفس أو بمال؟

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً:- الدكتور سمير جريدي

أين من يفدي الجزائر التي أبنت الضَّيم وهبَّت للنضال

أين أبناء العطاريف الألى صمدوا في الدود مند الاحتلال

أعلنوها ثورة عارمة تقهر الأعداء في كل مجال

أشعلوا النيران في أجنادهم حطّوا كلّ دخیل مُتعال

إن نصر الله وأقى أسرعوا لاغتنام النَّصر بالسَّمر العوالي

(جبهه التحرير) نادى شعبنا أين من يفدي بنفس أو بمال؟

فهو يتحدث عن نداء جبهه التحرير للشعب كي يثور ضد الاحتلال ويفدي بلاده النفس والنفيس.

وفي قصيدة أخرى عنوانها "من الملحمة الثورة"¹¹ يخاطب جبهة التحرير قائلا:
يا جبهه التحرير أنت ريادةٌ ضربت في القيادة مثلاً أروعاً.

وجّهت هذا الشعب نحو حياته وصنعت جنداً للتخيل مُروعاً

حررت ذا الوطن العزيز بثورة كانت على الأعداء ريحاً زرعاً

الله باركها وسدد خطوها والشعب كان لها السلاح الأنفعاً

دومي على الدرب الذي عبّده واستلهمي الدين الحنيف الأصقفاً

واحمي البلاد من السماسرة الألى ألفت نفوسهم السّلك الأفضعاً

لقد ضربت جبهة التحرير الوطني مثالا رائعا في قياده الثورة إلى تحقيق مبتغاها في نيل الاستقلال الوطني، والتف الشعب حولها وأعطاه العهد على الدعم والمساندة، فهذا مفدي زكريا شاعر الثورة يعطيها العهد بالوقوف الى جانبها، إذ يقول في نشيد " فاشهدوا - النشيد الرّسمي للثورة الجزائرية"¹²، والنشيد الرّسمي الوطني الجزائري كذلك:

جبهة التحرير اعطيناك عهدا وعقدنا العزم أن تحيى الجزائر

3.1 جيش التحرير الوطني:

سخر الشاعر بعضا من شعره لتخليد مآثر جيش التحرير الوطني ومجاهديه، والافتخار ببطولاته التي قهرت الاستعمار الفرنسي، وأدلته في مختلف أنحاء البلاد وجبالها، ففي بعض الأبيات من قصيدة "ملحمة الثورة"¹³، يصف أمجاد الجيش وبطولاته، ويذكرها مفاخرًا بها، وفيها يقول:

يا عصابة البارود يا من كنتم لكتاب التحرير جيشًا أبرعًا

علمتم الدنيا المكارم والفدا
وبنيتم للمجد صرخًا أمنعًا
ما منكم إلا كميّ ثائر
تأبى له أخلاقه أن يفزعًا
في ساحة الحرب الضروس ضربتم الـ
مثل الشرود شجاعةً وتطلعًا
حتى تولى في الملاحم خاسنا
جيش السلاحف خاسرًا متضععا.
في (الجرف) "⁽¹⁴⁾ قد عرفوا مهارة
جيشنا
وهضاب (إرقو) شهادات أننا
شعب على قمم النجاح ترّبعًا
وبقلعة الأوراس أحبط سعيهم
لما تبادل جمعهم وتصدعا
وب (جرجرا) وشمال (سرتا) أيقنوا
أن الجزائر أمة لن تخضعًا

وغيرها من الأبيات اللاحقة التي ذكر فيها الشاعر مختلف مناطق الوطن: شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً، والتي أبلا فيها جيش التحرير البلاء الحسن في إذلال جيش العدو وتلقينه دروس الوطنية والشجاعة والجهاد في سبيل الله. وفي قصيدة أخرى عنوانها "جيش التحرير الوطني"¹⁵، تحدث الشاعر عن بطولات جيش التحرير وصفاته قائلاً:

أدى اليميننا وصممنا	وإلى الكفاح تقَدَّما
لله جيش ثنائ	رام التحرّر بالدمّ
في صدره الإيمان يز	خر مثل يمم قد طمّا

لا ينتهي حتى يرى قيد الهوان تحطّما

وتبقى هذه الملاحم جزءاً من البطولات العظيمة والخالدة لجيش التحرير الوطني الجزائري التي لا تنسى.

4.1 شهر نوفمبر:

في فاتح شهر نوفمبر 1954م، أعلنت جبهة التحرير الوطني اندلاع الثورة التحريرية المجيدة، لتحرير البلاد والعباد، وكتب بيان أول نوفمبر الذي وضع عدّة قضايا متعلقة بالثورة وأهدافها، وقد أصبح ذلك الشهر منذ ذلك الوقت عيداً وطنياً جزائرياً، ألا وهو عيد اندلاع الثورة التحريرية، وله في النفوس الأثر الواضح الذي يُحيي الأمجاد والبطولات، ويعتز بها، وها هو محمد الشبوكي يُناجي هذا الشهر ويذكر أفضاله ومزاياه، في قصيدة "مناجاة نوفمبر"¹⁶، التي يقول في بعض من أبياتها:

أنت شهر من الشهور و لكن	أنت رمز لمجد شعب تحرر
فيك ثرنا على العدا و رسمنا	خط النصر بالكفاح المؤرّر
فيك يا شهر آمن الشعب بالرشا	ش يدوي عند الثوار و يزأر

كلما عدت عاودتنا طوف التـ
تضحيات التي بها الشعب يفخر
فيك لاحت لنا المنى و تجلى
فيك سرّ منّ الإله مدبر
يا شهر آذنت جبهة التحـ
رير بالزحف و الجهاد المقرر
.....
شعبنا كله يحيّيك يا شهـ
ر و يحبوك بالثناء المعطر
شعبنا كله سيبقى وفيـا
لعهد الكفـاح لا يتغير
.....
و سلام عليك يا أيها الشـهـ
ر متى زرتنا... متى أنت تدبر

5.1 الشباب الجزائري الثائر:

شارك الشعب الجزائري بكل أطيافه وفئاته في الثورة التحريرية، خصوصاً بعد هجمات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م، بقيادة الشهيد البطل زيغود يوسف، وكذلك بعد انعقاد مؤتمر الصومام بتاريخ: 20 أوت 1956م بمنطقة القبائل وسط الجزائر. لقد شارك بكل أطيافه العمرية، وخصوصاً الشباب الذي قام بدور فعّال في الثورة الجزائرية، وهذا لما لهذه الفئة العمرية من حماس واندفاع وإقبال، فأعضاء لجنة الاثنين والعشرين (22) التاريخية أغلبهم شباب في العشرينيات والثلاثينيات من أعمارهم، وكذلك لجنة الأعضاء الستة، وقد خلّد الشاعر بعضاً من دورهم في قصيدته الموسومة بـ "الشباب الثائر"¹⁷، التي كتبها في معتقل "بوسوي" سنة 1958م، ومما جاء فيها قوله :

راح يستلهم الحقائق في الكو
ن ويشدو بكل لحن جديد

راح يسمو إلى المعالي بحزم
واضطبار يقلّ عزم الحديد
فهو يبغي الحياة حرّاً ويأبى
ذلة العيش تحت عبء القيود

ثائرا يملأ الوجود كفاحا	وينير الحياة بالتجديد
صادح يملأ الفضاء لحونا	ويهز الحياة بالتغريد
باسم للزمان لا يعرف اليأ	س، ولا ينتهي أمام الوعيد
قلْبٌ خافق يؤجّجه الشعـ	ر فيهفو إلى جمال الوجود
عقري الخيال يستبق (الرادار)	في قصصه لمعنى وليد

....

عزّمت الشباب فيض من النو	ر وموَجُّ من الكفاح الشديد
إنّما تبتّني الشعوب على	أكتافه المجد من زمن بعيد
أيها المغرم المتيمّ بالمجـ	د تقبّل تحيّتي ونشيد.

2. تحقير جيش الاحتلال والتشهير بجرائمه:

ومن تجليات الثورة في شعر محمد الشبوكي نجد تحقير جيش الاحتلال والتشهير بجرائمه، هذا الجيش الذي قامت الثورة لطرده وطرد احتلاله. هذا الجيش الذي قام بجرائم يندى لها جبين الإنسانية، منذ الاحتلال مروراً بمجازر 8 ماي 1945م، وصولاً إلى الثورة التحريرية، وقد شملت جرائمه مختلف مناطق البلاد: شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، باديتها وحضرها، وقد نظم الشاعر قصيدة " تبسة الصامدة"¹⁸، عندما كان متواجدا بمعقل الجرف قرب المسيلة بمناسبة الحريق الذي شب بسوق تبسة من قبل الجيش الفرنسي سنة 1956م، وفيها ذكر تفاصيل جريمة الجيش ضدها، مذكرا إياها، ومحتقرا له بما لحقه من الهزيمة والذل والخزي في حروب له في فيتنام وغيرها، وفي بعض من أبيات تلك القصيدة يقول:

لَقَها الليل واللهيب المسعر ودخّان يعلو المنازل أحمز

ودَهَى تبسة المجيدة هول رَوَّع الأمنين لـيلا وحير

أحرقوا سوقها وعاثوا فسادا في حماها ومارسوا كل منكر

أي جيش أشعل النار فيها ومشى في أحيائها يتبخر

فلقد ذمَّ محمد الشبوكي جرائم الجيش الفرنسي ضد السكان المدنيين العزل في تبسة، واحتقره
جرائم تلك الجرائم البشعة، وأوغل في احتقاره بتذكيره بهزائمه التي لحقت به خارج الجزائر قائلاً:
ذاك جيش قد فرَّ من حرب (فيتتا م) أتاها هنا لكي يتعنَّز

وفلول قد شرَّدتها (بيان فو) فانتحت نحونا لكي تتسيطر

إن الشاعر لم يبأس ولم يستسلم ولم تنهز قواه ومعنوياته، ومعه سكان تبسة خصوصاً،
والجزائريين عموماً، فهو يذكره بردة الفعل المشرفة لهم تجاهه، إذ يقول :
قد تلقت كيد العدا بـصمود فهي تُزري بالها جمين وتسخر

ولقد آمنت بأن جيوش الظم لم في كل أرضينا سوف تُقهز

وبأن استعمار جيش الفرنسي س إيانا بـقطننا سوف يُقْبز

هكذا تبسة المجيدة بانَّت تتحدى الذي طغى وتجبر

لم تقل النيران من عزمها الأقم سوى فقد صممت لكي تتحرز

إن جيش الاحتلال قد ارتكب جرائم في الجزائر ومنها جرائمه في تبسة التي تحدثنا عن بعض
من أحداثها، لكن الأهم والأجمل أن تلك الجرائم لم تقل عضد الجزائريين، ولم تضعف إرادتهم أبداً،
بل كان هناك التحدي ورد الفعل المناسب ضد ذلك الجيش وجرائمه.

3. تخليد المعارك الفاصلة من خلال أناشيد حماسية:

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً-: الدكتور سمير جريدي

شهدت الثورة الجزائرية معارك قوية وفاصلة ضد الاستعمار الفرنسي، كان لها الأثر الفعال في الدفع بمسيرة الثورة من بينها: هجومات الشمال القسنطيني، معركة الجرف التي تحدث عنها محمد الشبوكي، وقد سبق الحديث عنها في موضع آخر من هذه المداخلة.

أما حديثنا عنها هنا فسيكون من خلال نشيد "جزائرنّا"¹⁹ الذي نوليه بعض الأهمية والتفصيل نظرا لدوره الفعال في الثورة، وهذا نصه:

جزائرنّا يا بلاد الجدودُ نهضنا نحطم عنك القيودُ

ففيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمينُ

.....

سلامًا سلاما جبال البلاد فأنت القلاع لنا والعمادُ

وفيك عقدنا لواء الجهاد ومنك زحفنا على الغاصيينُ

.....

قهرنا الأعادي في كل وادي فلم تجدهم طائرات عوادي

ولا الطنك ينجدهم في البوادي فباءوا بأشلائهم خاسرين

.....

وقائعنا قد روت للورى بأننا صمدنا كأسد الشرى

فأوراس يشهد يوم الوغى بأننا جهزنا على المعتدين

.....

الثورة في الأدب الجزائري - شعر محمد الشبوكي أنموذجاً: الدكتور سمير جريدي

سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا

ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الأثمين

.....

بجزيرة الضخم خضنا الغمار وفي الأبيض الفخم نلنا الفخار

وفي كل فج حمينا الذمار فنحن الأبوة بنو الفاتحين

.....

نعاهدكم يا ضحايا الكفاح بأننا على العهد حتى الفلاح

ثقوا برفاق بأننا النجاح سنقطف أثماره باسمين

.....

قفوا واهتقوا يا رجال الهمم تعيش الجبال ويحيا الشمم

وتحيا الضحايا ويحيا العلم وتحيا الدما يما الثائرين

لقد كان هذا النشيد الثوري الخالد ذائع الصوت، وقد نظمه الشاعر خلال شهر جانفي 1956، ويعود ذلك النظم إلى ثلاثة أسباب رئيسية²⁰، وهي:

* إدراك الشاعر مدى تأثير الكلمة في تهيج العواطف، ورفع المعنويات، فمفعولها لا يقل أهمية عن دور الرشاش والبنديقية في الجبال.

* الانفعال الذي صنعه انتصارات المجاهدين وخصوصاً في معركة الجرف الشهيرة حيث يقول الشاعر في هذا الصدد: " كنت في مدينة الشريعة التي لا تبعد إلا قليلاً عن المكان المعروف باسم الجرف حيث كثرة عساكر العدو التي تكالبت للفتك بمجموعة من المجاهدين، وعلمت بالتصر الذي

الثورة في الأدب الجزائري - شعر محمد الشبوكي - نموذجاً: الدكتور سمير جريدي

أحرزته الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الباغية وامتلات نفسي غبطة وسروراً بهذه المآثر التي كانت على كل لسان"²¹.

* تلبية لنداء المجاهدين، حيث يقول في هذه الصّد "وبينما أنا على هذه الحال (يقصد الفرحة والسرور)، إذ اتصل بي أحد رجال جيش التحرير وقال لي: إنّ الإخوان من قادة الناحية يطلبون منك أن تبعث إليهم بنشيد ثوري ليتغنى به الجنود، وسجلتُ هذا النشيد ولم تكلفني صياغته إلا سهرة واحدة فقد كنت ممثلي الجوارح اغتباطاً بالثورة نوفمبر و اغتباطاً بثورة الجرف التي لا أشبهها إلا بغزوة "بدر" الكبرى. و سلمت النشيد في الصباح اليوم الموالي إلى مبعوث جيش التحرير"²².

فالثورة ومعاركها (معركة الجرف هنا) ألهمت الشعراء والشعراء خلدوا أحداثها نتيجة الإلهام والانفعال، فالعلاقة تأثر وتأثير، فهذا النشيد الخالد "جزائرينا" قد تمّ " إنشاده في مناسبات عديدة وشاع لحنه بين الثوار...وقد سافر... عبر الحدود ووصل إلى الحركات الطلابية وتجمعات الجالية الجزائرية، وأنصار الثورة عبر العالم. وقد لُجّنَ لحنًا حماسيًا يرفع معنويات الجنود، ويدفع الشباب إلى الانضمام الى الثورة والاعتزاز بها، فهو نشيد محارب بألفاظه ولحنه ومعانيها الوطنية التي تجعل الاستعمار في قصر الاتهام"²³.

لقد كان لذلك النشيد أهمية كبرى²⁴، حيث إنه دفع بالشباب الى الانضمام الى الثورة، كما أبرز حقارة الاستعمار، مما يشجع الجزائريين المتمردين في الالتحاق بالثورة على الالتحاق بها، كما رفع المعنويات وبعث الأمل عاليًا في الانتصار على الاستعمار نتيجة الانتصار الباهر الذي حققه المجاهدون على الاحتلال في معركة الجرف، وأبرز هذا النشيد كذلك شمولية الثورة لمختلف مناطق الوطن إذ ذكر عديد الأماكن مثل: (الأوراس -جبل الجرف- جرجرة- الجبل الأبيض...).

4. اتخاذ ذكريات أحداث الثورة وتاريخ الجزائر مناسبة للحديث عن بطولاتها وتعريف الخلف بها، وإبقائها حية في النفوس:

لم يتوقف حديث محمد الشبوكي عن الثورة الجزائرية بعد تحقيق الاستقلال و طرد المستعمر، بل بقى مرتبطا بها، مما يؤكد حبه وتبجيله لها، والأمثلة على ذلك كثيرة في شعره، فضلا عن نشاطاته الأخرى.

وقد اتخذ من مختلف الأحداث التاريخية والثورية و ذكرياتها التي كانت تُحيى مناسبة سانحة للتطرق إلى الثورة.

فبمناسبة إحياء ذكرى حوادث 8 ماي 1945م نظم شاعر قصيدة " لولا نوفمبر..."²⁵ ، وبعث بها الى محمد بن قطان أمين محافظة جبهة التحرير الوطني والمشرّف على المهرجان، ومما جاء فيها قوله:

وفي نوفمبر أدّينا اليمين على دحر الأعداء لنمحو كلّ ما زعموا

وأُنجز الله وعدًا في جزائرينا فثار في أرضها البطحاء والأكُم

توحد الشعب وانساقَت كتائبه نحو الكفاح وهبّت في الدّجى النّوم

وخاضها ثورة كبرى مباركة
أبلى بها الشعب واهتزت لها الأمم
سبع من السنوات الحمر كنّ لنا
ملاحمًا ملؤها التنكيل والجَمَمُ
خضنا معارك حرب لا نظير لها
يحدو بنا الثأر والتحرير والقيم
وأقبل النصر وانهاأت بشائره
وارتدّ جيش الأعادي وهو منهزم
وعمت الفرحة الكبرى جزائرنا
ورغم أنف العدا قد رفرف العلم
وراح شعب الفدا يبني جزائره
الرأي متحد والصف ملتئم.

لقد كانت المناسبة التاريخية حافزًا على الانفعال وإيقاظ الذكريات الثورية للشاعر، فجادت قريحته بهذه القصيدة التي ذكرنا بعضاً من أبياتها، التي تشيد بالثورة وبطولاتها وانتصاراتها وتدين جرائم الاستعمار.

وبمناسبة إحياء ذكرى معركة الجرف بتاريخ 22 سبتمبر 1988م، نظم الشاعر قصيدة " إنا نحييك...²⁶ "، وألقاها، ومما جاء في أبياتها فيما يخص الثورة الجزائرية قوله:
أمنت بالثورة الكبرى ونصرتها
في وقعة (الجرف) واستبشرت بالعلم

ورحت أنشد شعري في (جزائرنا)
وملء صدري أمواج من النغم
وقلت معتقداً لم يبق شكّ إذن
فالاستقلال ضمناً حقه بدم
أطأطأ الرأس إجلالاً لمن وهبوا
أرواحهم فدية للأرض عن كرم
وينحني الرأس اعتزازاً وتكرمة
وقد وقفت مشيداً عن كفاحهم
إن البطولات الخارقات هنا
بالجرف قد جدّت تاريخ (مُعْتَصِم)

فيا لها وقعة دقت بشائرها سمع الورى واستثارت كل ذي همم

بدأ الشاعر بالحديث عن تفاصيل معركة الجرف التي أبدا فيها المجاهدون بطولات نادرة، ألحقوا فيها هزيمة نكراء بالعدو، وقد ذكرته بغزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون على المشركين، فكانما التاريخ يعيد نفسه، ثم بعد ذلك تحدث عن إيمانه بانتصار الثورة على المستدمر، بعد ما شاهده في وقعة الجرف الشهيرة، التي صرح باعتقاده اليقين الذي لا يخالطه الشك بأن الاستقلال قادم لا محالة.

الخاتمة:

شغلت الثورة الجزائرية حيّزا لا بأس به في شعر محمد الشبوكي: المجاهد الشاعر، المربي المصلح، السياسي المناضل، المثقف... فملأت عليه روحه وملكت وجدانه وكيانه، فألهمته الكتابة عنها، فخلّدها في قصائد وأناشيد عديدة، سواء أكان ذلك قبل الاستقلال أم بعده، داخل السجن أم خارجه.

فتحدث عن هيئاتها السياسية والعسكرية، فكانت الحكومة الجزائرية المؤقتة وجيش التحرير الوطني والمجاهدين، والشهداء، وسجل وأرخ لمعاركها البطولية، وأبرز جرائم الاستدمار البغيض، كما استعان بالأناشيد الحماسية بعدّها وسيلة فعالة للمشاركة في الثورة ودعمها وتحقيق أهدافها، كما اتخذ من ذكريات الثورة وأحداث التاريخ الجزائري الحديث وسيلة للحديث عنها وإبقائها حية في نفوس من عاصروها، ونفوس الأجيال الجزائرية اللاحقة على مرّ الأزمنة والعصور. وقد كانت الثورة مادة خصبة للشاعر استقى من أحداثها مواضيع لقصائده، وكان مؤرخا لها، فالعلاقة بينهما تكاملية تبادلية تأثيرية تأثرية، وقد كان الشاعر صادقا في التعبير عنها من مختلف النواحي.

¹- أخذنا كل المعلومات المتعلقة بحياته من عديد الكتب -لم نلتزم في المتن بالتهميش لكل معلومة كي لا يتضخم المقال -، وأهمها ما يأتي:

1. سمير جريدي، محمد الشبوكي المجاهد الشاعر، دار جسر الجزائر، ط1، 2013م
2. تومي عياد، الأحمدى: الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الزاهد، منشورات الجاحظية، الجزائر 2002م
3. أحمد عيساوي: الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الجزائرية الثائر - حياته ومنهجه الإصلاحية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
4. عز الدين ذويب: شعر محمد الشبوكي - دراسة فنية وتحليلية، المجموعة الأولى أنموذجاً، ماجستير مخطوط، إشراف الدكتور محمد العيد تاورته، قسم اللغة العربية جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2006 م/ 2007 م.
2. جبران مسعود جبران: معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2003م. ص229.
3. يحيى الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكرياء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1987م، ص 55.
4. المرجع نفسه، ص 55.

الثورة في الأدب الجزائري - شعر محمد الشبوكي أنموذجاً: الدكتور سمير جريدي

- 5 - محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999، ج 1، ص 303.
 - 6 . استخدم ناصر لوحيشي هذا المصطلح (التجربة الشعرية) في كتابه: أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري_ الشعر الجزائري في " معجم البابطين" أنموذجاً تطبيقياً، دار الأمير خالد، الجزائر، 2013م.
 - 7 . عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص: 243.
 - 8 . يراجع هذه المسألة في: أطروحة سمير جريدي: المدونة الشعرية في جريدة البصائر الجزائرية (1935م_1939م) و1947_1956م- دراسة تحليلية فنية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، 2018م، ص من 124_126.
 - 9 . محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 م، ص ص 15_16.
 - 10 . المصدر نفسه، ص17.
 - 11 . المصدر نفسه، ص ص 18_19.
 - 12 . مفدي زكرياء: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص ص : 61-62.
 - 13 . محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، ص ص 18_19.
 - (14) - الجرف، جرجاء، إرفو، سرتا...أسماء أماكن جزائرية جرت بها معارك الثورة.
 - 15 . محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، ص 22.
 - 16 - المصدر نفسه ، ص ص 27_28.
 - 17 . المصدر نفسه ، ص 31.
 - 18 . المصدر نفسه ، ص 20-21.
 - 19 . المصدر نفسه ، ص ص 60-61.
 - 20 . يراجع: سمير جريدي: مظاهر الإيقاع في شعر محمد الشبوكي الجزائري، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ إشراف د. ناصر لوحيشي، 2018م، ص ص 24-25.
 - 21 . أحمد، دوغان: وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي، جريدة الشعب ، الجزائر، 26أفريل 1983 م، ص11.
 - 22 . المرجع نفسه، ص ن.
 - 23 . أبو القاسم ، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، ط1، 2007 م، ج10، ص:499.
 - 24 . لمزيد من الفائدة والتوسع براجع: سمير جريدي، محمد الشبوكي المجاهد الشاعر، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، طر، 2013م، ص من 90 إلى 93.
 - 25 . محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، ص 93-94.
 - 26 - المصدر نفسه ، ص 133 إلى 135.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- الكتب:**
1. أبو القاسم ، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، ط1، 2007 م، ج10.
 2. أحمد، دوغان: وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي، جريدة الشعب ، الجزائر، 26أفريل 1983 م.
 3. أحمد عيسوي: الشيخ محد الشبوكي شاعر الثورة الجزائرية الثائر - حياته ومنهجه الإصلاحية، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر.
 4. جبران مسعود جبران: معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2003م.
 5. تومي عياد ، الأحمدى : الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الزاهد ، منشورات الجاحظية ، الجزائر 2002م.
 6. سمير جريدي ، محمد الشبوكي المجاهد الشاعر ، دار جسور الجزائر ، ط1 ، 2013 م .

الثورة في الأدب الجزائري -شعر محمد الشبوكي أنموذجاً:- الدكتور سمير جريدي

7. عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2007م.
 8. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1999، ج 1 .
 9. محمد الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 م.
 10. مفدي زكرياء: الألب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
 11. ناصر لوحيشي: أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري_ الشعر الجزائري في " معجم البابطين" أنموذجاً تطبيقياً، دار الأمير خالد، الجزائر، 2013م.
 12. يحيى الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكرياء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1987 م.
- المذكرات والأطروحات:**
13. سمير جريدي: مظاهر الإيقاع في شعر محمد الشبوكي الجزائري، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ إشراف د. ناصر لوحيشي، 2018 م .
 14. سمير جريدي: المدونة الشعرية في جريدة البصائر الجزائرية (1935م_1939م) و1947_1956م- دراسة تحليلية فنية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، 2018م.
 15. عز الدين ذويب: شعر محمد الشبوكي – دراسة فنية وتحليلية ، المجموعة الأولى أنموذجاً ، ماجستير مخطوط، إشراف الدكتور محمد العيد تاورته ، قسم اللغة العربية جامعة العربي التبسي ، تبسة،الجزائر ، 2006 م/2007 ..